

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ

سر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى (إياك نعبد وإياك نستعين)

• وهاتين الكلمتين عليهما مدار العبودية والتوحيد حتى قيل أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في القرآن وجمع معاني القرآن في المفصل وجمع معاني المفصل في الفاتحة ومعاني الفاتحة في إياك نعبد وإياك نستعين

سر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى)
إياك نعبد وإياك نستعين)

وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب

وبين عبده نصفين فنصفهما له

تعالى وهو  إياك نعبد 

ونصفهما لعبده وهو  إياك

نستعين 

العبادة

• والعبادة تجمع أصليين:

• غاية الحب بغاية الذل والخضوع

• والعرب تقول طريق معبد أي

مذلل

• والتعبد التذلل والخضوع

العبادة

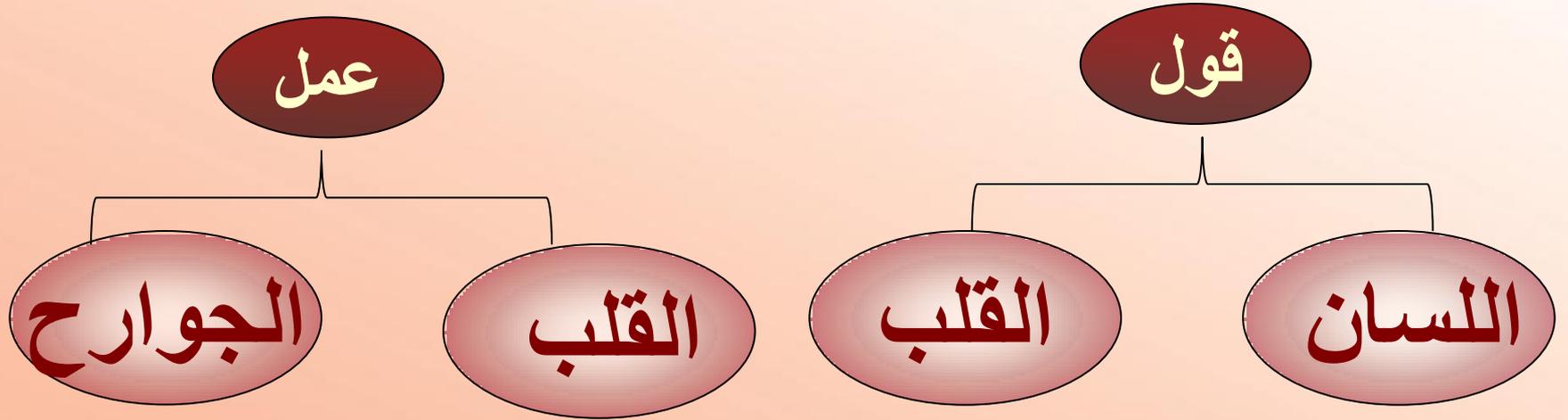
• فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم

تكن عابدا له

• ومن خضعت له بلا محبة لم تكن

عابدا له حتى تكون محبا خاضعا

وَبُنِيَ "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" عَلَى أَرْبَعِ قَوَاعِدِ التَّحَقُّقِ بِمَا
يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيَرْضَاهُ مِنْ



فَالْعِبُودِيَّةُ اسْمُ جَامِعٍ لِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ
فَأَصْحَابُ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} حَقًّا هُمْ أَصْحَابُهَا

فقول القلب

• هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به

• عن نفسه

• وعن أسمائه وصفاته وأفعاله

• وملائكته

• ولقائه على لسان رسوله

قول اللسان

• الإخبار عنه بذلك، والدعوة إليه،
والذب عنه، وتبيين بطلان البدع
المخالفة له، والقيام بذكره، وتبليغ
أوامره.

عمل القلب

• وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه
والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له
وإخلاص الدين له والصبر على أوامره
وعن نواهيه وعلى أقداره والرضى به
وعنه والموالاتة فيه والمعاداة فيه والذل
له والخضوع والإخبات إليه والطمأنينة به

• وغير ذلك من أعمال القلوب التي
فرضها أفرض من أعمال الجوارح
ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها
وعمل الجوارح بدونها إما عديم
المنفعة أو قليل المنفعة

• وأعمال الجوارح كالصلاة والجهاد
ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات
ومساعدة العاجز والإحسان إلى
الخلق ونحو ذلك

• ف إياك نعبد التزام لأحكام هذه الأربعة
وإقرار بها

• وإياك نستعين طلب للإعانة عليها
والتوفيق لها

• واهدنا الصراط المستقيم متضمن
للتعريف بالأمرين على التفصيل وإلهام
القيام بهما وسلوك طريق السالكين إلى الله
بها" "مدارج السالكين" (١/ ١٠٠ و ١٠١).

الاستعانة

• والاستعانة تجمع أصلين:

الثقة بالله و الاعتماد عليه

• فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغناؤه عنه

• وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به

• والتوكل معنى يلتئم من أصلين: من الثقة والاعتماد

• وهو حقيقة ❁ إياك نعبد وإياك نستعين ☯

• وهذان الأصلان وهما التوكل والعبادة قد ذكرا
في القرآن في عدة مواضع قرن بينهما فيها هذا
أحدها.

• الثاني قول شعيب: ❁ وما توفيقى إلا بالله عليه

توكلت وإليه أنيب ☯

• الثالث قوله تعالى: ❁ ولله غيب السموات

والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل

عليه ☯

• الرابع قوله تعالى حكاية عن المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ

توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴾

• الخامس قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا

رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾

• السادس قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ

توكلت وإليه أنيب ﴾

• فهذه ستة مواضع يجمع فيها بين الأصليين وهما ﴿ إِيَّاكَ

نعبد وإيَّاكَ نستعين ﴾

العبادة والاستعانة

• وتقديم العبادة على الاستعانة في
القاتحة

١- من باب تقديم الغايات على الوسائل

إذ العبادة غاية العباد التي خلقوا لها

والاستعانة وسيلة إليها

٢- ولأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ متعلق بألوهيته واسمه الله وإيَّاكَ نستعين متعلق بربوبيته واسمه الرب فقدم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على إيَّاكَ نستعين كما قدم اسم الله على الرب في أول السورة

٣- ولأن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قسم الرب فكان من الشطر الأول الذي هو ثناء على الله تعالى لكونه أولى به ﴿وإِيَّاكَ نستعين﴾ قسم العبد فكان من الشطر الذي له وهو ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إلى آخر السورة

٤- ولأن العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة
من غير عكس فكل عابد لله عبودية تامة
مستعين به ولا ينعكس لأن صاحب
الأغراض والشهوات قد يستعين به على
شهواته فكانت العبادة أكمل وأتم ولهذا
كانت قسم الرب

٥- ولأن العبادة لا تكون إلا من مخلص
والاستعانة تكون من مخلص ومن غير
مخلص

٦- ولأن العبادة حقه الذي أوجبه عليك
والاستعانة طلب العون على العبادة وهو
بيان صدقته التي تصدق بها عليك وأداء
حقه أهم من التعرض لصدقته

٧- ولأن العبادَة شكر نعمته عليك والله يحب أن يشكر
والإعانة فعله بك وتوفيقه لك فإذا التزمت عبوديته
ودخلت تحت رقبها أعانك عليها فكان التزامها والدخول
تحت رقبها سببا لنيل الإعانة وكلما كان العبد أتم عبودية
كانت الإعانة من الله له أعظم.

• والعبودية محفوفة بإعانتين إعانة قبلها على التزامها
والقيام بها وإعانة بعدها على عبودية أخرى وهكذا أبدا
حتى يقضي العبد نحببه

إذا عرفت هذا فالناس في هذين الأصلين وهما العبادة والاستعانة
أربعة أقسام :

القسم الاول:- أجلها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها

القسم الثاني: وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به

• **القسم الثالث:** من له نوع عبادة بلا استعانة

القسم الرابع: وهو من شهد تفرد الله بالنعف والضر وأنه ما شاء كان وما لم

يشأ لم يكن، ولم يدر مع ما يحبه ويرضاه، فتوكل عليه واستعان به على

حظوظه وشهواته وأغراضه وطلبها منه وأنزلها به،

إذا عرفت هذا فالناس في هذين الأصلين وهما العبادة والاستعانة
أربعة أقسام :

أجلها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها

فعبادة الله غاية مرادهم

وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها

ولهذا كان من أفضل ما يسأل الرب تبارك وتعالى الإعانة

على مرضاته وهو الذي علمه النبي ﷺ لحيه معاذ بن

جبل رضي الله عنه فقال: يا معاذ والله إنني لأحبك فلا

تتس أن تقول دبر كل صلاة "اللهم أعني على ذكرك

وشكرك وحسن عبادتك".

فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته

وأفضل المواهب إسعافه بهذا المطلوب وجميع

الأدعية الماثورة مدارها على هذا وعلى دفع ما

يضاده وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : تأملت أنفع الدعاء فإذا

هو سؤال العون على مرضاته ثم رأيت في

الفاتحة في ❁ إياك نعبد وإياك نستعين ❁ ومقابل

هو لاء القسم الثاني

القسم الثاني:

وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به

فلا عبادة ولا استعانة

بل إن سألهم أحدهم واستعان به فعلى

حظوظه وشهواته لا على مرضاة ربه

وحقوقه

القسم الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة

• وهؤلاء نوعان:

أحدهما القدرية القائلون بأنه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألفاظ وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرسل وتمكينه من الفعل فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها بل قد ساوى بين أوليائه وأعدائه في الإعانة فأعان هؤلاء كما أعان هؤلاء ولكن أوليائه اختاروا لنفوسهم الإيمان

النوع الثاني من القسم الثاني:

• من لهم عبادات وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر وتلاشيها في ضمنه وقيامها به وأنها بدون القدر كالموات الذي لا تأثير له بل كالعدم الذي لا وجود له وأن القدر كالروح المحرك لها والمعول على المحرك الأول

• فلم تنفذ قوى بصائرهم من المتحرك إلى المحرك ومن السبب إلى المسبب ومن الآلة إلى الفاعل فضعفت عزائمهم وقصرت همهم فقل نصيبهم من إياك نستعين ولم يجدوا ذوق التعبد بالتوكل والاستعانة وإن وجدوا ذوقه بالأوراد والوظائف

• **فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والنفوذ والتأثير بحسب استعانتهم وتوكلهم ولهم من الخذلان والضعف والمهانة والعجز بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه وكان مأمورا بإزالته لأزاله**

• **القسم الرابع:** وهو من شهد تفرد الله بالنعف والضر وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولم يدر مع ما يحبه ويرضاه فتوكل عليه واستعان به على حظوظه وشهواته وأغراضه وطلبها منه وأنزلها به **فقضية له وأسعف بها سواء كانت أموالاً أو رياسة أو جاها عند الخلق أو أحوالاً من كشف وتأثير وقوة وتمكين ولكن لا عاقبة له فإنها من جنس الملك الظاهر والأموال لا تستلزم الإسلام فضلاً عن الولاية والقرب من الله**

• فإن الملك والجاه والمال والحال معطاة للبر والفاجر
والمؤمن والكافر فمن استدل بشيء من ذلك على محبة
الله لمن آتاه إياه ورضاه عنه وأنه من أوليائه المقربين
فهو من أجهل الجاهلين وأبعدهم عن معرفة الله ومعرفة
دينه والتمييز بين ما يحبه ويرضاه ويكرهه ويسخطه
فالحال من الدنيا فهو كالمك والمال إن أعان صاحبه
على طاعة الله ومرضاته وتنفيذ أوامره ألحقه بالملوك
العادلين البررة وإلا فهو وبال على صاحبه ومبعد له عن
الله وملحق له بالملوك الظلمة والأغنياء الفجرة

فإنه سبحانه يسأله من في السموات والأرض
يسأله أولياؤه وأعداؤه ويمد هؤلاء وهؤلاء وأبغض
خلقه عدوه إبليس ومع هذا فقد سأله حاجة فأعطاه
إياها ومتعته بها ولكن لما لم تكن عوناً له على
مرضاته كانت زيادة له في شقوته وبعده عن الله
وطرده عنه وهكذا كل من استعان به على أمر
وسأله إياه ولم يكن عوناً على طاعته كان مبعداً له
عن مرضاته قاطعاً له عنه ولا بد

•وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره وليعلم أن إجابة الله لسأئليه ليست لكرامة السائل عليه بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه وشقوته ويكون قضاؤها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبته له فيمنعه حماية وصيانة وحفظا لا بخلا وهذا إنما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبته ويعامله بلطفه فيظن بجهله أن الله لا يحبه ولا يكرمه ويراه يقضي حوائج غيره فيسيء ظنه بربه وهذا حشو قلبه ولا يشعر به والمعصوم من عصمه الله والإنسان على نفسه بصيرة وعلامة هذا حمله على الأقدار وعتابه الباطن لها كما قيل :
وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدر

• فو الله لو كشف عن حاصله وسره لرأي

هناك معاتبه القدر واتهامه وأنه قد كان ينبغي

أن يكون كذا وكذا ولكن ما حيلتي والأمر

ليس إلي والعاقل خصم نفسه والجاهل خصم

أقدار ربه

فاحذر كل الحذر أن تسأله شيئاً معيناً خيرته
وعاقبته مغيبة عنك وإذا لم تجد من سؤاله بدا
فعلقه على شرط علمه تعالى فيه الخيرة وقدم بين
يدي سؤالك الاستخارة ولا تكن استخارة باللسان
بلا معرفة بل استخارة من لا علم له بمصالحه ولا
قدرة له عليها ولا اهتداء له إلى تفاصيلها ولا يملك
لنفسه ضراً ولا نفعاً بل إن وكل إلى نفسه هلك كل
الهلاك وانفرط عليه أمره

• وإذا أعطاك ما أعطاك بلا سؤال تسألته
أن يجعله عوناً لك على طاعته وبلاغاً إلى
مرضاته ولا يجعله قاطعاً لك عنه ولا
مبعداً عن مرضاته ولا تظن أن عطاءه كل
ما أعطى لكرامة عبده عليه ولا منعه كل
ما يمنعه لهوان عبده عليه

•ولكن عطاؤه ومنعه ابتلاء وامتحان يمتحن بهما عباده قال الله
تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ
رَبِّي أَكْرَمَنِي وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ
كَلَّا ۗ أَي لَيْسَ كُلٌّ مِّنْ أَعْطِيَهِ وَنَعَّمَهُ وَخَوَّلَهُ فَقَدِ أَكْرَمْتَهُ وَمَا
ذَلِكَ لِكِرَامَتِهِ عَلَيَّ وَلَكِنَّهُ ابْتِلاؤُا مِّنِي وَامْتِحَانُ لِي أَشْكُرُنِي
فَأَعْطَيْهِ فَوْقَ ذَلِكَ أَمْ يَكْفُرُنِي فَأَسْلَبَهُ إِيَّاهُ وَأَخْوَلَ فِيهِ غَيْرَهُ وَلَيْسَ
كُلٌّ مِّنْ ابْتِلاؤِيهِ فَضِيقَتْ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَجَعَلْتَهُ بِقَدْرٍ لَا يُفْضِلُ عَنْهُ
فَذَلِكَ مِنْ هَوَانِهِ عَلَيَّ وَلَكِنَّهُ ابْتِلاؤُا مِّنِي وَامْتِحَانُ لِي أَصْبِرُ
فَأَعْطَيْهِ أَوْعَافًا أَوْعَافًا مَا فَاتَهُ مِنْ سَعَةِ الرِّزْقِ أَمْ يَتَسَخَّطُ

• فرد الله سبحانه على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة فقال: لم أبتل عبدي بالغنى لكرامته علي، ولم أبتله بالفقر لهوانه علي.

• فأخبر أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره فإنه سبحانه يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتصر على المؤمن لا لإهانتته إنما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته ويهين من يهينه بالإعراض عنه ومعصيته فله الحمد على هذا وعلى هذا وهو الغني الحميد

• فعادت سعادة الدنيا والآخرة إلى ❁ إياك نعبد وإياك نستعين

